مجلة الشرق للعلوم الإنسانية
المجلد: ١ العدد: ٦
الناشر: الشرق للنشر والتكنولوجيا

East Journal of Human Science
ISSN: 3079-9384 DOI: https://doi.org/10.63496/ejhs.Vol1.Iss6.122

الأنساق الثقافية المضمرة في قصيدة (أحنُّ إلى خبز أمي) لمحمود درويش: دراسة سيميائية في ضوء نظرية التلقّي

[1] هند بنت عبدالله بن حسن البلوشية
[1] مدرسة تبوك للتعليم الأساسي، صحار، سلطنة عمان، H.bilush@moe.om

The Implicit Cultural Patterns in the Poem (I Yearn for My Mother's Bread) By Mahmoud Darwish: A Semiotic Study in Light of Reception Theory

[1]Hind Abdullah Hassan Al Balushi,
[1]Tabuk Basic Education School, Suhar, Sultanate of Oman, h.bilush@moe.om

Received: 17/06/2025; Revised: 22/06/2025; Accepted: 14/08/2025; Published: 03/10/2025

الملخص :

الأنساق الثقافية المضمرة تُعد من المفاهيم النقدية الحديثة التي تُمكّن القارئ من النفاذ إلى الطبقات العميقة للنص، بما يتجاوز المعنى الظاهري المباشر. فهي تشير إلى تلك القيم والمعاني والعقائد الاجتماعية والثقافية التي يخزنها النص في طياته دون أن يصرّح بها مباشرة، لكنها تؤثر في بنائه ودلالته، وتشكّل وعي الكاتب واللاوعي في آنٍ معًا. وتُعد دراسة الأنساق الثقافية المضمرة مدخلًا نقديًا يكشف تفاعلات النص مع محيطه الثقافي، ويضيء الجوانب المسكوت عنها، ما يمنح القارئ فهمًا أعمق للنص، ويجعله أكثر وعيًا بما ينطوي عليه من رسائل ظاهرة وخفية.

يتناول هذا البحث موضوع الأنساق الثقافية المضمرة في قصيدة "أحنّ إلى خبز أمي" لمحمود درويش، بوصفها نموذجًا شعريًا يحمل دلالات تتجاوز البنية اللغوية الظاهرة إلى عمق الرموز الثقافية، من خلال مدخلين نظريين هما: السيميائية ونظرية التلقي. فالشاعر، بلغة بسيطة ظاهريًا، يُعبّر عن مشاعر وطنية وإنسانية عميقة، تتجلى عبر رموز مثل: "خبز أمي"، "قهوة أمي"، و"لمسة أمي"؛ التي لا تشير إلى الأم وحدها، بل تُمثّل أيضًا الوطن،والدفء، والجذور، والهوية الضائعة تحت سياق المنفى. وتكمن أهمية البحث في قدرته على إظهار كيف تُعبّر البنية الرمزية في الشعر عن قضايا كبرى بطريقة غير مباشرة، مما يعكس تداخلاً بين الجمالي والثقافي والسياسي. كما يشير البحث إلى دراسات سابقة دعمت فكرة أن القصيدة تتضمن بنية ثقافية غائرة تحاكي الوعي الجمعي العربي والفلسطيني خاصة.

يخلص البحث إلى أن محمود درويش لم يكن يكتب فقط عن أمه، بل عن وطن، وهوية، وجرح، مستخدمًا رموزًا ثقافية مضمرة نقلت القصيدة من الحنين الفردي إلى الحنين الجماعي.

الكلمات المفتاحية: *الأنساق الثقافية، المضمرة، السيميائية، نظرية التلقي.*

Abstract

Implicit cultural patterns are a modern critical concept that enables the reader to penetrate the deeper lay-ers of a text, beyond its apparent, direct meaning. They refer to the values, meanings, and social and cultural beliefs that a text stores within its folds without explicitly stating them, yet they influence its structure and meaning, shaping both the writer's consciousness and subconscious. The study of implicit cultural patterns is a critical approach that reveals the text's interactions with its cultural environment and illuminates unspoken aspects. This provides the reader with a deeper understanding of the text and makes them more aware of its apparent and hidden messages. This research examines the implicit cultural patterns in Mahmoud Darwish's poem "I Yearn for My Mother's Bread," as a poetic model that carries connotations that go beyond the appar-ent linguistic structure to the depths of cultural symbols. This research examines two theoretical approaches: semiotics and reception theory. In seemingly simple language, the poet expresses profound national and hu-mane sentiments, manifested through symbols such as "my mother's bread," "my mother's coffee," and "my mother's touch." These symbols not only refer to the mother but also represent homeland, warmth, roots, and a lost identity in the context of exile.

The importance of this research lies in its ability to demonstrate how the symbolic structure of poetry indi-rectly expresses major issues, reflecting an interplay between aesthetics, culture, and politics. The research also references previous studies that support the idea that poetry contains a deep cultural structure that re-flects the collective Arab and Palestinian consciousness in particular. The research concludes that Mahmoud Darwish was not only writing about his mother, but also about homeland, identity, and wounds, using implicit cultural symbols that shifted the poem from individual long-ing to collective nostalgia.

Keywords*: Cultural systems, implicit, semiotics, reception theory.*

حقوق النشر: ©٢٠٢٥ المؤلف(ون). نُشر بواسطة الشرق للنشر والتكنولوجيا. هذه المقالة متاحة بنظام الوصول المفتوح بموجب شروط رخصة المشاع الإبداعي النسبية ٤,٠ الدولية، والتي تتيح الاستخدام والتوزيع وإعادة الإنتاج دون قيود في أي وسيط، بشرط الاستشهاد بالعمل الأصلي بشكل صحيح.

المقدمة

يشكل الشعر العربي الحديث مساحة خصبة لتداخل الأبعاد الجمالية مع البنى الثقافية الكامنة التي تتوارى خلف النصوص الشعرية، ليصبح النص الشعري مرآة لنسق اجتماعي متجذّر. وفي ظل التحولات التي شهدها النقد الأدبي المعاصر، برزت أهمية استكشاف الأبعاد الثقافية المضمرة في النصوص الأدبية، خاصة النصوص التي تتجاوز المعاني الظاهرة لتغوص في أعماق البنى الثقافية والاجتماعية، وفي هذا السياق تتجلى قصيدة "أحنّ إلى خبز أمي" لمحمود درويش أنموذجًا غنيًا يُجسّد هذا التداخل بين التعبير الشعري والأنساق الثقافية الكامنة، بوصفها نصًا يحفل بالحنين، لكنه في عمقه أكثر من مجرد بوح عاطفي.

ويرى الغذامي(2000) إلى أنّ" النسق المهيمن لا يقول نفسه، بل يندسُّ في الخطاب".(ص.27)، مما يجعل تحليل هذه الأنساق الثقافية ضرورة لفهم ما يخفيه النص، لا ما يصرّح به. وتُشير الأنساق الثقافية المضمرة إلى تلك القيم والمعاني التي يحملها النص دون الإفصاح عنها صراحة، بل تتجلى من خلال الرموز والإشارات في أعماق النص الشعري التي تعكس الوعي الجمعي، والهوية الثقافية للمجتمع. وقد أشار الباحثون إلى أن هذه الأنساق تُشكّل جزءًا أساسيًا من البنية العميقة للنصوص الأدبية، مما يستدعي تحليلها لفهم الرسائل الثقافية والاجتماعية التي تنقلها الأعمال الأدبية.

من جانب آخر، يُعدّ المنهج السيميائي أداة فعّالة لتحليل هذه الأنساق، حيث يركز على دراسة العلامات والرموز داخل النص وكيفية تفاعلها مع السياق الثقافي والاجتماعي. وقد أوضح الباحثون أهمية هذا المنهج في مقاربة الخطاب الشعري الحديث، مؤكدين على قدرته في الكشف عن الدلالات العميقة للنصوص الأدبية.(خاقاني وعامر،2010). وسوف تستقرئ الباحثة الأنساق الثقافية المضمرة في قصيدة "أحنّ إلى خبز أمي" والغوص في الطبقات المعنوية للقصيدة، في ضوء أدوات التحليل السيميائي واستجابات القارئ للكشف عن البعد الثقافي للنص الشعري الفلسطيني.

الدراسات السابقة:

استطاعت الباحثة الاستعانة بعدة دراسات سابقة لها علاقة بالأنساق الثقافية في النصوص الشعرية، وتسهم هذه الدراسات في فهم أعمق لهذه الأنساق الثقافية المضمرة وكيفية استقرائها وتحليلها، وفيما يأتي تفصيل لهذه الدراسات:

(١) دراسة: محمد خاقاني ورضا عامر(2010)،المنهج السيميائي: آلية مقاربة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته، *مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها*،(2):

تناولت هذه الدراسة أهمية المنهج السيميائي في تحليل الخطاب الشعري الحديث، وأهم المشاكل التي يشكو منها الخطاب الشعري الحديث خاصة من خلط بين النقاد في تناول الظاهرة الأدبية، وطرق وأساليب التحليل على مستوى الأدوات الإجرائية، أو على مستوى التأويل الصحيح في استنطاق النص.

(٢) دراسة مكارشة إيناس، عبد القادر قدّار(2024)، الشعر الجزائري المعاصر في ضوء نظرية التلقي: قصيدة "البحر يقرأ حالته" لعلي ملاحي أنموذجًا، *مجلة دراسات معاصرة*، 8(1):

تستعرض هذه الدراسة نظرية التلقي بكونها من أهم نظريات مابعد الحداثة،حيث أعادت الاعتبار للمتلقي بعدما أغفلته المناهج السياقة والنسقية، ولقد انطلقت هذه النظرية من رحم جامعة "كونستانس"Constance في ألمانيا على يد اثنين من أبرز روادها :"هانز روبرت ياوس" Hans-Robert Jauss و"فولفغانغ آيزر" Wolfgang Iser. ولقد استفاد النقد الجزائري المعاصر من نظريات النقد الغربي وعلى رأسها نظرية التلقي، فسالت أقلام الباحثين والنقاد وأسهموا فيها إما تنظيرًا، أو تطبيقًا، أو بالمزاوجة بينهما. وعليه جاء هذا البحث؛ ليقدم لنا أهم الجهود الجزائرية المعاصرة التي ساهمت في نظرية التلقي، وكذا معرفة مدى مقروئية قصيدة "البحر يقرأ حالته" لعلي ملّاحي. وفي نهاية المطاف حقّق هذا البحث مجموعة من النتائج تمثلت أهمها في: تركيز نظرية التلقي على المتلقي باعتباره أهم عناصر العملية الإبداعية،كما أبان البحث عن قدرة الشعر الجزائري المعاصر على الانفتاح على القراءة والنقد، بالإضافة إلى غنى قصيدة "البحر يقرأ حالته" بالبنيات النصية التي سعت لجذب اهتمام القارئ كالتناص الأدبي وسعيها لمفاجأة القارئ وكسر توقعه.

(٣) دراسة محمود الضبع (2011)، الشعر المعاصر وآليات التلقي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية،(113):

تناقش هذه الدراسة دور التلقي في الشعرية العربية، وكيفية تفاعل القارئ مع النصوص الشعرية الحديثة، حيث هناك ترصد دور التلقي في الشعرية العربية بدءًا من التراث العربي حيث كانت الذائقة العربية تولي اهتمامًا للتلقي في استقباله للنص، وكيف يستمر ذلك مع توصيلها إلى التلقي بالشعر، ثم أثر التلقي مع شعرية الحداثة المصاحب لها في تحديد النوع الأدبي وجمالياته بما في ذلك قربه من حدث جمالية في زمن ما، وهو ما يشير إجمالا إلى تغير فعل الشعرية وعدم إثباته من التلقي.

وتبحث الدراسة في علاقة النص الشعري الحديث بالتلقي، وما تنتجه من تعدد القراءات بتعدد القراء، وعدم وجود حدود لتفسير أو قراءة واحدة موثوقة كما يحدث مع الشعر العربي القديم، وهو ما يرتبط به كثير من المهنيين في الشرق والغرب، فالمجاز محدد خصائص الشعر محددة على التلقي في محدد اشتغاله (كونه مجازا من عدمه)، والمرجعية العملية للقول الشعري تحال إلى التلقي، والمفارقة استخدام التسعير الذي علمت عليها القصة في أحدها، وتناقش دراسة الإيقاع الكيفي بعناصره (النبر، والتنغيم، والمدى التاريخي)، وما يتطلبه الأمر منه الآن أن يحدث تحليلًا تؤول في مرجعيته إلى التلقي، وعلاقة قصيدة النثر بالبناء التاريخي وحداثة الفجوات في بناء النص، وهو ما يفتح الباب أمام التلقي لمساهمتها، ثم ينتقل إلى إعادة بناء النص، وتعدد قراءاته. وتنتهي الدراسة ببحث التشاكل العرفاني بين العمودي والتفعيلي، إذ تشمل النص الشعري إحالات معرفية بأشكال عدة، ولكن تظل في نهاية الأمر مؤجلة توافق رهنا بالسياق، وبالتلقي تبعا لثقافة التلقي وأويله لهذه الحالات.

منهجية البحث

هدف البحث وأهميته:

يهدف هذا البحث إلى:

١. الكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة في القصيدة وتحديد طبيعتها ودلالاتها الرمزية من خلال التحليل السيميائي.

٢. تطبيق المنهج السيميائي؛ لتفكيك العلامات والرموز في النص، من خلال تحليل العناصر السيميائية للنص (الرموز، والصور، والإيحاءات) التي تُنتج الدلالة الثقافية.

٣. استخدام نظرية التلقي لفهم كيفية تفاعل القارئ مع هذه الأنساق، ومع رموز القصيدة، ومدى انفتاح النص على تأويلات متعددة.

٤. إبراز العلاقة بين اللغة والهوية في خطاب درويش الشعري، وخاصة توظيفه للرموز الشعبية والبسيطة لإيصال مفاهيم عميقة.

٥. تأكيد البعد الرمزي للأم وتحليل تمثيلها كنموذج للانتماء والجذور ومواجهة الاغتراب.

٦. بيان فاعلية المنهج السيميائي التأويلي في دراسة النصوص الشعرية الحديثة متعددة الدلالات والأنساق.

٧. توسيع آفاق النقد الثقافي في مجال الشعر العربي عبر قراءة النسق الشعري بوصفه حاملاً للثقافة وليس فقط للأدب.

تبرز أهمية هذا البحث في تسليطه الضوء على كيفية توظيف الشعر للأنساق الثقافية المضمرة؛ للتعبير عن قضايا الهوية والانتماء، مما يساهم في فهم أعمق للنصوص الشعرية الحديثة ودورها في تشكيل الوعي الجمعي من خلال تحليل النص الشعري بنظريات نقدية حديثة.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج التحليلي السيميائي في تفكيك العلامات والرموز في النص، وقراءة ما تخفيه العلامات من نسق ثقافي جمعي، مرتبط بالهوية الفلسطينية والحنين للوطن. كما استعانت الباحثة بنظرية التلقي لدراسة دور القارئ في فك شفرات هذا الخطاب الشعري، حيث تُثير الرموز البسيطة مشاعر عميقة تنقل من التجربة الفردية إلى المشترك الجمعي.، وتم تطبيق التحليل النقدي على قصيدة "أحنّ إلى خبز أمي" لمحمود درويش، مع الاستفادة من الدراسات السابقة في هذا المجال.

وقد تم تحليل النص الشعري في ضوء المنهج المتّبع تحليلًا، ورصدًا، في تخطيط اشتمل على تمهيد لمفهوم الأنساق الثقافية المضمرة، ثم أردف التمهيد بثلاثة محاور رئيسية، وهي المحور الأول: مفهوم الأنساق الثقافية المضمرة، يليه المحور الثاني: المناهج النقدية الحديثة، والمحور الثالث: التحليل التطبيقي للقصيدة. واختتمت البحث بخاتمة بأبرز ما توصلت إليه الباحثة بعد التحليل.

مشكلة البحث وأسئلته

تمثل قصيدة "أحن إلى خبز أمي" لمحمود درويش نموذجًا شعريًا كثيفًا بالرموز الثقافية العميقة، التي لا تُفهم من ظاهرها، بل تتطلب تفكيكًا دقيقًا؛ للكشف عما تُخفيه من أنساق ثقافية مضمرة. فالنص الشعري هنا لا يُعبّر فقط عن الحنين للأم، بل يتجاوز ذلك ليغدو خطابًا عن الوطن، والفقد، والهوية، والمقاومة، والذاكرة الجمعية، مما يطرح إشكالية مركزية: كيف يُمَكِّننا التحليل السيميائي والتأويلي من الكشف عن هذه الأنساق الخفية؟ وكيف تتجلى عملية التلقي في إدراك هذا المعنى الرمزي العميق؟

وتنبثق من ذلك إشكاليات فرعية:

- هل يُمكن اعتبار صورة "الأم" نسقًا ثقافيًا يتجاوز الأمومة البيولوجية إلى الأمومة الرمزية؟
- إلى أي مدى تُسهم العلامات النصية والصور الشعرية في تشكيل النسق الثقافي في النص؟
- ما دور المتلقي في استنطاق هذه الأنساق؟ وهل تتعدد القراءات تبعًا للخلفية الثقافية والتاريخية للقارئ؟

التمهيد

تعتبر دراسة الأنساق الثقافية المضمرة من أبرز توجهات النقد الثقافي المعاصر، إذ تسعى إلى كشف البنى الفكرية والرمزية التي تتوارى خلف النصوص، وتُظهر كيف تُسهم الأعمال الأدبية في إعادة إنتاج قيم المجتمع وتمثيل خطاباته. وقد عرّف الغذامي(2000) النسق الثقافي بأنه "السلطة المضمرة التي تفرض نفسها داخل النص من خلال الجماليات والأساليب التعبيرية، وتُنتج خطابًا ثقافيًا مستترًا خلف الإبداع الظاهر". (ص. 29). ومن خلال هذا المنظور، يتجاوز النقد الأدبي التحليل الجمالي إلى تفكيك الأبعاد الاجتماعية والثقافية للنص.

وتُعدّ قصيدة "أحنّ إلى خبز أمي" لمحمود درويش أنموذج شعري يحتشد بأنساق ثقافية مضمرة، تتداخل فيها الذات الفردية بالهوية الجمعية، ويغدو فيها الحنين للأم أكثر من عاطفة إنسانية، إذ يتحول إلى رمزية ثقافية ووطنية شاملة، فالأم في النص ليست مجرد شخص، بل هي تجلٍّ للأرض، وللبيت، وللانتماء الأول، بل للوطن المغيّب، ويشير النعيمي(2012) إلى أن "النسق المضمر يشتغل في مستويات دلالية متعددة، حيث تنقلب المفردة اليومية إلى رمز ثقافي محمّل بالذاكرة والمعنى" .(ص.103).

فاستدعاء مفردات مثل الخبز، والقهوة، ولمسة الأم، يحمل أبعادًا سيميائية تتجاوز دلالاتها الحسية؛ لتصبح علامات ثقافية تعبّر عن الحنين، والاستقرار، والتجذّر، بل عن الخوف من الفقد والشتات، وهي ثيمة تتكرر في تجربة درويش الشعرية، لا سيما في مراحل المنفى، وتُظهر هذه المفردات كيف أن "العلامات العادية تُحمَّل بأبعاد دلالية إضافية داخل سياقات شعورية وثقافية معينة" (Eco, 1976, p. 9).

كما أن صوت الشاعر في القصيدة لا ينطق بذاته الفردية فقط، بل يحمل وجدانًا فلسطينيًا، ينصهر فيه الذاتي بالوطني. وهو ما يجعل هذه القصيدة مثالًا على التمثيل الثقافي الذي يصوغ الوعي الجمعي عبر رموز مألوفة تعيد إنتاج الهوية.(Hall, 1997, p. 15).

المحور الأول: مفهوم الأنساق الثقافية المضمرة.

تشير الأنساق الثقافية المضمرة إلى البنى الثقافية والاجتماعية الكامنة في النصوص الأدبية، والتي لا تُفصح عنها بشكل مباشر، بل تتجلى من خلال الرموز والإشارات التي تعكس الوعي الجمعي والهوية الثقافية للمجتمع، وقد أشار الباحثون إلى أن هذه الأنساق تُشكّل جزءًا أساسيًا من البنية العميقة للنصوص الأدبية، مما يستدعي تحليلها لفهم الرسائل الثقافية والاجتماعية التي تنقلها الأعمال الأدبية.

ويدور مفهوم النسق في معاجم اللغة حول معاني الترتيب والتنظيم والتتابع والاتساق؛ جاء في كتاب العين "النَّسق من كل شيء: ما كان على نظام واحد عام في الأشياء، ونَسَقْته تنسيقًا، وتقول: "انتسَقتْ هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسَّقتْ" (الفراهيدي، 2003، *ص*.218). وذكر الزمخشري(1998) في أساس البلاغة: "من المجاز: كلام متناسق، وقد تناسق كلامه، وجاء على نَسَقٍ ونظام".(ص. 266). ويُستخلص من هذا العرض اللغوي أن النسق يعني وحدة منتظمة متداخلة وفق نظام معين مُتفق عليها، قوامها الانسجام والتساوق.

وقد تنبّه القدماء أيضًا إلى أهمية النسق إذا ذكر الخفاجي (1932) في إطار حديثه عن صحة الكلام في المعاني وما يستدل به على غيره، صحة النسق والنظم؛ ويقصد بذلك "أن يستمر في المعنى الواحد، وإذا أراد أن يستأنف معنى آخر أحسن التخلص إليه حتى يكون متعلقا بالأول وغير منقطع عنه".(ص. 253).

أما مفهوم النسق المضمر فيأتي في نظرية النقد الثقافي بوصفه مفهومًا مركزيًّا؛ والمقصود أن الثقافة تملك أنساقها الخاصة وهي أنساق مهيمنة، تتجلّى بالنص عبر التخفي وراء أقنعة سميكة، وأهم هذه الأقنعة قناع الجماليات في النص الشعري.(عبد المعطي، 2024، 24).

المحور الثاني: المناهج النقدية الحديثة.

المنهج السيميائي.

ببداية الأمر علينا أن نتطرق إلى معنى السيمياء لغة، ففي لسان العرب يذكر ابن المنظور "السومة والمسة والسيماء، والسيمياء: العلامة". (ص. 313).

المنهج السيميائي في النقد الأدبي هو علم يهتم بدراسة الأنساق الدالة، وكما عرّفها إيلام(1992) السيميائيات علم مكرّس لدراسة إنتاج المعنى في المجتمع وتعني كذلك بعمليات الدلالة وعمليات الاتصال، أي الوسائل التي بواسطتها تتوالد المعاني ويجري تبادلها معا، وتمثل مواضيعها شتى أنساق العلامة والكودات التي تعمل في المجتمع، والرسائل الفعلية والنصوص التي تنتج من خلالها.(ص.5).

وذكر خضر(2020) أن مصطلح سيمياء يقابل سيميولوجيا، وكلمة سيميولوجيا منقولة من الإنجليزية، وأصل الكلمة يوناني تنقسم لقسمين الأول بمعنى علامة والثاني بمعنى خطاب.(ص.252)

نظرية التلقي.

تُبرز نظرية التلقي دور القارئ في تفسير النص وتأويله، حيث يُعتبر المتلقي شريكًا أساسيًا في عملية بناء

المعنى، وقد تطورت هذه النظرية لتُعطي أهمية أكبر لتجربة القارئ وتوقعاته، مما يُسهم في فهم أعمق للنصوص الأدبية.

وقد أشار الجاحظ(1970) إلى أهمية استجابة المتلقي ودوره في عملية التواصل وتحليل النص الأدبي، وذكر في معرض حديثه: "وجه التدبير في الكتاب إذا طال أن يداري نشاط القارئ له، ويسوقه إلى حظه بالاحتيال، فمن ذلك أن يخرجه من شيء إلى شيء، ومن باب إلى باب، بعد أن لا يخرجه من ذلك الفن ومن جمهور ذلك العلم".(ص. 366).

ويمثّل النص الشعري وسيطًا نوعيًّا بين المبدع والمتلقي في الاتفاق الضمني الحاصل بينهما، وهذا ما يجعل النص ينمو في ذهن المتلقي الذي يحقق الاستجابة بعد عملية الإنتاج النصي، فعملية التواصل هدفها هو إدراك القيم المتضمنة في كل إبداع أدبي، وفهم هذه القيم.(عبو،2006).

المحور الثالث: التحليل التطبيقي للقصيدة.

أحنُّ إلى خبز أمي

وقهوة أُمي

ولمسة أُمي..

وتكبر فيَّ الطفولةُ

يوماً على صدر يومِ

وأعشَقُ عمرِي لأني

إذا مُتُّ ,

أخجل من دمع أُمي !

خذيني ، إذا عدتُ يوماً

وشاحاً لهُدْبِكْ

وغطّي عظامي بعشب

تعمَّد من طهر كعبك

وشُدّي وثاقي..

بخصلة شعر..

بخيطٍ يلوَّح في ذيل ثوبك..

عساني أصيرُ إلهاً

إلهاً أصيرْ.

إذا ما لمستُ قرارة قلبك !

ضعيني , إذا ما رجعتُ

وقوداً بتنور نارك...

وحبل غسيل على سطح دارك

لأني فقدتُ الوقوف

بدون صلاة نهارك

هَرِمْتُ , فردّي نجوم الطفولة

حتى أُشارك

صغار العصافير

درب الرجوع ...

لعُشِّ انتظارِك !

بعد استعراض قصيدة (أحنُّ إلى خبز أمي) للشاعر الفلسطيني محمود درويش، ستعرض الباحثة تحليل النص الشعري تحليلًا سيميائيًّا موضحة أهم العلامات ودلالتها الخفية، حيث تُعد القصيدة من أبرز نصوص درويش العاطفية، التي كتبها في المعتقل في سنّ صغيرة، تبدأ بالحنين للأم لكنها سرعان ما تتجاوز ذلك إلى نسق أعمق: الوطن والهوية والموت، برمز الأم كجذر وجودي.

من خلال نظرية التلقي، يُمكن فهم كيف يتفاعل القارئ مع هذه الرموز، حيث تُثير مشاعر الحنين والانتماء، وتُعيد إحياء الذاكرة الجمعية للفلسطينيين في الشتات. كما تُحفّز القارئ على تأمل العلاقة بين الفرد والوطن من خلال العلاقة بين الابن والأم. وستتطرق الباحثة في تحليل النص الشعري إلى عدة أنساق ثقافية، ومحاور اختفت وراء أقنعة الألفاظ.

النسق الثقافي المضمر: الأم = الوطن.

من خلال رمزية الأم (الخبز، القهوة، اللمسة)، لا تحضر الأم فقط بوصفها فردًا عاطفيًّا، بل ككُلّ ثقافي يمثل الحنان، والانتماء، والهوية، فالأم في الثقافة العربية – خاصة الفلسطينية – تتماهى مع الأرض والوطن، مما يجعل الحنين إليها حنينًا إلى الجذور.

تحليل سيميائي:

- الخبز = القوت اليومي، أي الحياة.
- القهوة = الطقوس اليومية المرتبطة بالبيت.
- اللمسة = الحنان والحماية.

فالنسق المضمر لا يُفصح الشاعر عن الوطن، لكنه يُخاطب الرمز الذي يُجسّده؛ ليجعل من الأم اختزالًا للهوية الكبرى، ويشير يونس وعيسى(2021) أن هذا يتفق مع رؤية بارت حول أن العلامة لا تحيل فقط إلى مدلولها، بل إلى شبكة ثقافية كاملة.

(خبز أمي) و(قهوة أمي) تمثلان رمزين للحنان، والدفء، والهوية الثقافية الفلسطينية، الخبز والقهوة ليسا مجرد مأكولات/ مشروبات، بل يحملان دلالات عميقة ترتبط بالبيت والوطن والانتماء.

أما (وشاحًا لهُدْبِكْ) و(خصلة شعر) و(خيطٍ يلوَّح في ذيل ثوبك) تُستخدم هذه الصور لتجسيد الرغبة في الاندماج الكامل مع الأم، مما يعكس الحنين العميق والانتماء الجذري.

النسق المضمر: التقديس والتضحية.

القصيدة تُبرز أيضًا نسقًا مضمَرًا يتعلق بالتضحية والفداء، حيث يُعبّر الشاعر عن استعداده للتضحية بنفسه من أجل الوطن، مستخدمًا رمزية الأم.

"إن متّ، أكون ترابًا

تمشي عليه حبيبتي!"

هذا يُشير إلى استعداد الشاعر للتضحية بنفسه من أجل الوطن، مما يُعزز النسق الثقافي المتعلق بالتضحية والفداء.

"اخبئها في شَعري

وعظامي..."

هنا يتسلل نسق ثقافي شبه صوفي، فيه تضحية كاملة، تكشف تأثّر الوعي العربي بثقافة الاستشهاد والفداء، وتقديس الأم كصورة جامعة بين الحب والإلهام والاحتواء. فمن منظور المتلقي،يُمكن تفسير القصيدة بطرق متعددة، حيث يُمكن أن تُقرأ كقصيدة حنين للأم، أو كرمز للحنين إلى الوطن. هذا يُظهر كما يرى محمد(2021) كيف يُمكن للمتلقي أن يُفسّر النص بطرق مختلفة بناءً على خلفيته الثقافية، حيث تنفتح القصيدة على عدة قراءات:

- عاطفية: عن الحب للأم والبيت.
- ثقافية/سياسية: تُقرأ كمرثية للوطن، خاصة إذا علم القارئ السياق (المنفى/الاعتقال).
- سيميائية: بوصفها شبكة من الرموز المتداخلة (الأم/الخبز/الموت).

النسق العاطفي الأمومي (مستوى الدال والمدلول):

الدال: "خبز أمي، قهوة أمي، لمسة أمي" .

- المدلول: عناصر الحياة البسيطة في ظاهرها، لكنها تُحيل إلى الأمن، الجذور، الانتماء والحنين إلى النقاء الأول.
- سيميائيًا: هذه العلامات تنتمي إلى نظام إشاري عاطفي وثقافي، فالأم ليست فقط شخصًا، بل نسق رمزي يمثل الحماية والهوية الجمعية.

فالقارئ يتلقى القصيدة ليس كحنين فردي، بل كتجربة وجودية تشبه تجربة الفقد القومي والشتات الفلسطيني، فالقصيدة تتجاوز "حسّ الذات" إلى "حسّ الجماعة"، وهذا هو ما يوسّع أفق التوقع لدى المتلقي.

النسق الديني والقدري (مستتر):

"وأعدّي لي مهدًا"، و"غطيني... زهر اللوز... الطفولي":

هذه الجمل تلامس نسقًا قدرانيًا صوفيًا يوحي بالعودة إلى الأصل، الموت، أو الولادة الثانية (رمز التطهر أو الفداء)، أما ثقافيًا فإنها تعكس معتقدًا ضمنيًا بأن العودة للأم ليست فقط عودة للعاطفة، بل تطهير من خطايا النفي، والغربة، والصراع مع الوجود.

بنية التكرار بوصفها علامة:

التكرار في "أحنّ إلى..." يشكل علامة دائرية تعيد المتلقي إلى نقطة البدء، ما يعكس دورة الحنين المستمرة، أما سيميائيًا فالتكرار يرسّخ نسق العجز والاحتياج الدائم، وهو تقنياً أداء تعبيري لجسد النص يوقظ الحزن الجمعي. والتكرار البنيوي "أحنّ إلى..." يعمل كحركة موسيقية دائرية تثير وجعًا شعريًا متصاعدًا حيث يخلق هذا التكرار أثرًا انفعاليًا لدى المتلقي، ويؤكد على الفقد المتكرر غير القابل للشفاء، فسيميائيًا، التكرار هنا ليس حشوًا، بل علامة على استحالة النسيان، وعلى أن الزمن لا يُعيد التوازن، بل يُعمّق الألم.

خطاب الضمير "أنا" مقابل "أمي":

"أنا إن متّ... أخجل من دمع أمي":

ينقل النسق الثقافي لفكرة العار النبيل، حيث يرتبط الموت بالخجل من الحزن الذي يسببه، لا من الموت نفسه، هذا النسق يرتكز إلى البنية القيمية الشرقية التي تُعلي التضحية وتُجرّم الأنانية، حتى في الموت.

محور الهوية والانتماء:

الحنين إلى الأم في النص ليس حنينًا عاطفيًا محضًا، بل استرجاع لهوية مهددة بالضياع، فالمفردات مثل "خبز، قهوة، لمسة، مهد، غطاء" تحمل دلالات ترتبط بالهوية الفلسطينية الثقافية، اليومية. فالشاعر في النص يُخاطب القارئ/المتلقي المتورط ضمن نفس الفقد، فيشترك في المعاناة ويُفعّل التأويل العاطفي والتاريخي، وسيميائيًا، "خبز أمي" علامة للهوية الجذرية التي لا تنفصل عن الأرض، كما أن الخبز رمز أساسي في الثقافة الفلسطينية المرتبطة بالكرامة.

محور الفقد والتطهر:

الموت الذي يُطرح كاحتمال في القصيدة ("أنا إن مت... أستحي من دمع أمي") ليس نهاية، بل بوابة تطهر، فدرويش يوظف هذا المشهد ليكشف عن الارتباط الوجودي بين الأم/الأصل والموت/العودة، أما من خلال منظور المتلقي قد يقرأ هذه الثيمة كموت رمزي للفرد المغترب داخل وطنه، أو كحالة تطهر من الخيانة، أو النجاة من الضياع الروحي.

محور صورة الأم كرمز كوني:

رسم الشاعر صورة أخرى للأم في النص الشعري، فالأم ليست شخصية فردية، بل رمز كوني للدفء، والملجأ، والاستمرار، وفي القراءة الثقافية، تمثل الأم الأرض، الوطن، الجذر. أما المتلقي الثقافي العربي يتلقى صورة الأم ليس كعلاقة بيولوجية فقط، بل كمفهوم وجودي شامل.

النسق السياسي/الوطني المبطّن في النص

النسق السياسي في الأدب ليس دائمًا مباشراً أو شعاراتياً، بل كما يرى خليل(2014) قد يتخفّى خلف صور عاطفية وشخصية. هذا ما يُسمى بـالنسق المضمَر؛ حيث تتسلّل الأفكار السياسية والقضايا الوطنية من خلال اللغة المجازية والرموز اليومية، كما في قصيدة درويش، ومن ملامح النسق السياسي في القصيدة:

أولًا: الأم رمز للوطن، وهي ليست مجرّد شخص، بل وطن مفقود، أرض مُغتصبة، دفء ماضٍ لا يعود، حيث يقول: "أحن إلى خبز أمي وقهوة أمي ولمسة أمي..." هذه مفردات محمّلة بالحنين، لكنها تُشير إلى الحرمان من الوطن.

ثانيًا: التعبير عن الغربة السياسية، فالمتكلم شاعر منفي، يُشعر القارئ بحالة الاقتلاع السياسي والهوية الضائعة، والاستحياء من دموع الأم عند الموت يدل على شعور بالذنب تجاه الأرض المغتصبة أو النضال الناقص.

ثالثًا: رمزية "خبز الأم" و"غطاء الأم"، حيث تمثل هذه الرموز الكفاف والكرامة الوطنية، وتُعارض الاغتراب السياسي، أما سيميائيًا: "الخبز" دالّ على الاكتفاء الذاتي في مواجهة الاستعمار، و"الغطاء" رمز للحماية الثقافية من الغزو الخارجي.

ومن منظور المتلقي القارئ العربي، في زمن الاحتلال أو الاضطراب السياسي، لا يفصل الخاص عن العام؛ يرى في الحنين للأم حنينًا للأرض، وفي البكاء الفردي نواحًا جماعيًا. فالقصيدة كُتبت في سياق النكسة والنفي، لذا كانت اللغة العاطفية غطاءً لوعي سياسي ساخط، ومحمود درويش لم يكتب عن السياسة مباشرة، لكنه زرعها بين الكلمات؛ لتكون مستمرة التلقّي ومتعددة التأويل.

نتائج البحث:

في الختام تستنتج الباحثة ما يأتي:

- ضرورة التعامل مع النصوص الشعربة بوصفها أنظمة دلالية تحمل أنساقا ثقافية خفية، ورموزا خفيّة.
- انكشاف الأنساق الثقافية المضمرة: أظهرت الدراسة أن محمود درويش ضمن قصيدته أنساقًا ثقافية غير معلنة.
- التداخل السيميائي للرموز أظهر التحليل السيميائي كيف تحوّلت المفردات البسيطة إلى علامات معبّرة عن معانٍ أوسع.

- تحول النص إلى خطاب جمعي: أصبحت القصيدة، بما تحمل من رموز وإشارات، خطابًا يُعبّر عن معاناة شعب بأكمله، لا عن حزن ذاتي فردي فحسب.

توصيات البحث:

بعد الانتهاء من البحث، توصي الباحثة بعدة توصيات للتعمق في النصوص الشعرية:

- تعميق الاشتغال بالنصوص الشعرية الحديثة من زاوية كشف الأنساق الثقافية غير المعلنة.
- الانفتاح على مناهج نقدية متعددة التخصصات (السيميائية، التلقي، النفسية، الثقافية) في تناول النص الشعري.
- الانتباه لدور المتلقي في تفكيك البنية الرمزية للنص، خاصة في النصوص التي تعتمد على الإيحاء والرمز.
- التأكيد على أهمية السياق الثقافي والاجتماعي والسياسي في تأويل النصوص الشعرية.
- تشجيع الباحثين على دراسة العلاقة بين النص الشعري والذاكرة الجمعية، كمنطقة خصبة للكشف عن خطابات مضمرة تعكس الوعي الجمعي والهوية الثقافية.

الخاتمة:

يتضح من خلال تحليل النص الشعري أن شعر محمود درويش لا يقتصر على البعد الجمالي أو التعبيري فقط، بل يحمل في طياته أنساقا ثقافية مضمرة تعكس هموم الإنسان العربي، وهويته، وصراعه مع المنفى والاحتلال، والذاكرة. فقد استطاع درويش أن يحمّل قصائده رموزًا ودلالات تتجاوز المعنى الظاهر، وتدخل في عمق الوعي الجمعي والثقافة العربية، ومن خلال منهج النقد الثقافي، تكشفت لنا تلك الطبقات العميقة للنص، التي تعكس لنا تلك الطبقات العميقة للنص، التي تعكس علاقة الشاعر بمجتمعه وتاريخه، ما يجعل من شعره وثيقة أدبية وثقافية في آن معًا.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية.

ابن منظور، محمد بن مكرم.(1993). *لسان العرب*(ط.3). دار صادر.

إيلام، كير.(1992). *سيمياء المسرح والدراما* (رئيف كرم، مترجم). المركز الثقافي العربي.

إيناس، مكارشة، وقدّار، عبد القادر. (2024). الشعر الجزائري المعاصر في ضوء نظرية التلقي: قصيدة "البحر يقرأ حالته" لعلي ملاحي أنموذجاً. *مجلة دراسات معاصرة*، 8(1)، 130- 146.

الجاحظ، عمرو بن بحر.(1970). *البيان والتبيين*. تحقيق: عبد السلام هارون(ط4). دار الفكر.

الخفاجي، ابن سنان عبدالله بن محمد.(1932). *سر الفصاحة*. تحقيق: علي فوده. مكتبة الخانجي.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله.(1998). *أساس البلاغة*. تحقيق: محمد باسل. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية.

الضبع، محمود.(2011). الشعر المعاصر وآلية التلقّي. *المجلة العربية للعلوم الإنسانية*،(113)، 11- 59.

الغذامي، عبدالله.(2000). *النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية*. المركز الثقافي العربي.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد.(2003). *كتاب العين مرتباً على حروف المعجم*. ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية.

النعيمي، محمد.(2012). النسق الثقافي بوصفه آلية اشتغال النص الأدبي. *مجلة حوليات الجامعة التونسية*،(51)، 95- 110.

خاقاني، محمد، وعامر، رضا.(2010). المنهج السيميائي: آلية مقاربة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته. *مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها*،(2)، 43- 83.

خضر، سهام حسن.(2020، فبراير10-11). *السيميائية بين التنظير الغربي والجذور العربية*[عرض ورقة]. أبحاث المؤتمر العلمي الدولي الثاني، مركز التطوير الاستراتيجي الأكاديمي وجامعة صلاح الدين، أربيل.

خليل،إبراهيم.(2014، أكتوبر1). شعر درويش بين الآيدلوجيا السياسية والآيدلوجيا الشعرية. https://www.alquds.co.uk.

درويش، محمود. (1994). *ديوان محمود درويش*. دار العودة.

عبد المعطي، مدحت فوزي.(2024). الأنساق الثقافية المضمرة في معلّقة الحارة بن حلّزة اليشكري.*مجلة علوم العربية، 3*(7)، 13- 68.

عبو، عبد القادر.(2006). *جمالية التلقّي في الشعر الحداثي*[أطروحة دكتوراه. جماعة وهران]. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

محمد، حنان أبو القاسم.(2021). شعرية الأنساق الضدية في معلقة لبيد بن ربيعة: مقاربة نقدية ثقافية. *المجلة العلمية جامعة أسيوط*،(20)،902- 976.

يونس، غيداء، وعيسى، محمد.(2021). الرمز الأسطوريّ وفنّيته في شعر محمود درويش. *مجلة جامعة حماة، 4*(12)، 1-12.

ثانيًا : المراجع الأجنبية.

Eco, Umberto. (1976). *A Theory of Semiotics*. Indiana University Press, 354.

Hall, Stuart. (1997). *Cultural Representations and Signifying Practices*. Sage Publications, 416.